[سلسلة شروحات فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي (٥)]

شرح القواعد الأربع

لفضيلة الشيخ العلامة

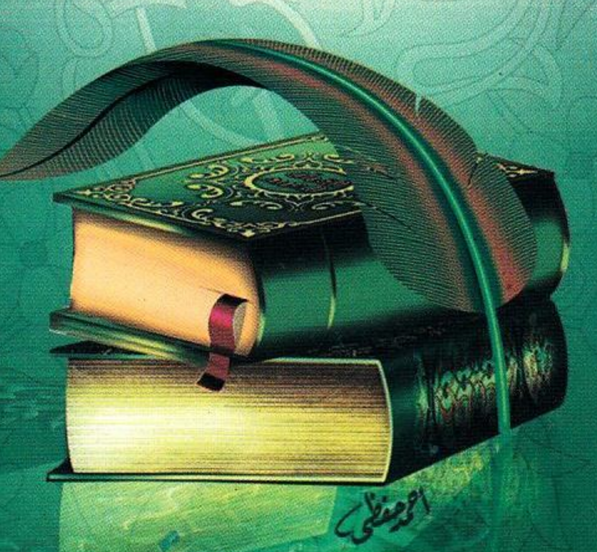
محمد أمان الجامي

اعتنى به

أبو جعفر جمال بن عبد السلام الهجرسي

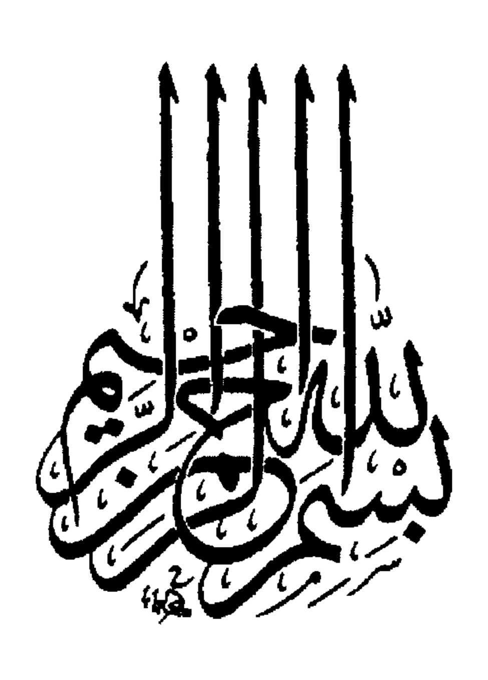
تقديم فضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي





شَرْحُ
القَوَاعِدِ الأَرْبَع



[سلسلة شروحات فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي (٥)]

شَرْحُ القَوَاعِدِ الأَرْبَع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان الجامي

اعتنى به

أبو جعفر جمال بن عبد السلام الهجرسي

تقديم فضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي



ح مكتبة دار النصيحة، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجامي، محمد أمان علي

شرح القواعد الأربع/ محمد أمان علي الجامي؛ جمال عبد السلام فرج الهجرسي- المدينة المنورة، ١٤٣٢هـ

١١٢ص ٢٤ سم- (سلسلة شروحات فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي، ٤)

ردمك: ٦-٢-٩٠٣٠١-٦٠٣-٩٧٨

١-التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ. الهجرسي، جمال الدين عبد السلام فرج (محقق). ب. العنوان ج. السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٠٨٤٣/ ١٤٣٢

رقم الإيداع ١٠٨٤٣/١٤٣٢

ردمك: ٦-٢-٩٠٣٠١-٦٠٣-٩٧٨



المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - أمام البوابة الجنوبية للجامعة الإسلامية

تلفاكس / ٠٠٩٦٦٤٨٤٧٠٧٠٨ جوال / ٠٠٩٦٦٥٩٥٩٨٢٠٤٦

البريد الإلكتروني : daralnasihaa@gmail.com

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد :

فإن علم التوحيد من أشرف العلوم وأعظمها وأجلّها، وهو أول أمرٍ أَمَرَ الله به في كتابه العزيز فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، ولأجله أرسل الله رسله لكل الأمم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال شيخ الإسلام: « ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا ولا حول ولا قوة إلا بالله »[١].

ولما كان التوحيد بهذه المنزلة العظيمة ألف العلماء فيه المختصرات والمطولات، وكان من هذه المختصرات ما ألفه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب من مختصرات مباركة نافعة، من ثلاثة الأصول والقواعد الأربع وكشف الشبهات وغيرها.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٥).

وقد تلقى أهل العلم هذه المختصرات بالقبول، وحظيت منهم بعناية ما بين شارح ومحشي ومعلق، كل على حسب ما تيسر له، وكان من هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله؛ إذ كان له جهد واضح في شرحها بأسلوب سهل وعبارة عذبة.

وقد سبق أن طبع للشيخ عدد من هذه الشروح منها شرح كتاب ثلاثة الأصول، وكتاب الأصول الستة، وشرح شروط لا إله إلا الله، وشرح نواقض الإسلام... وغيرها، وها هو اليوم شرح القواعد الأربع للإمام محمد بن عبد الوهاب يقدم لطلبة العلم، والذي جاء على وجازته كافيا بالمقصود ومحققا للمطلوب، فناسب إخراجه على هذه الصورة.

وقد قمت بوضع خطة عامة أسير عليها في إخراج جميع كتب الشيخ رحمه الله، وقد تم وضع هذه الخطة تحت إشراف جمع من أهل العلم، ولكي يكون القارئ على علم بالعمل الذي يجري على كافة كتب الشيخ أطرح بين يديه الخطة المتبعة في هذا العمل وغيره من كتب الشيخ، وهذه الخطة هي:

- تفريغ كلام الشيخ من الأشرطة كما هو إلا ما لا بد من تغييره كحذف تكرار أو إبدال حرف مكان حرف أو زيادته، مع إصلاح ما قد يقع في الكلام من أخطاء لغوية ونحوه.
- ما كان من إضافة كلمة ونحوه كأن تكون ساقطة أو استدعاها السياق فإنها توضع بين قوسين [...]، لتتميز عن كلام الشيخ.
- تجنب التكرار في الكلام قدر المستطاع، لذا فإنه عند التكرار يكتفي بالأقرب والأسهل إلى الفهم.
- إذا استعمل الشيخ كلمة عامية ونحوه فإنه تعدل بما يناسبها من الفصيح، ويشار في الهامش إلى الكلمة التي استعملها.
- تقسيم كلام الشيخ إلى فقرات متسلسلة ليكون أدعى للفهم ولتقريبه من الكلام المحرر، ويكتب قال المصنف عند إيراد المتن، والشرح عند كلام الشيخ.
- قد يقع تقديم لكلمة أو جملة على أخرى أو تأخيرها وذلك حسب ما يقتضيه الشرح ليتناسق الكلام وليكون مرتبا.

- يحذف من الأسئلة ما ليس له علاقة بالدرس، أما التي تتعلق به فإن كانت مهمة أو فيها مزيد بسط لم يذكر في الشرح فإنها تضاف بحسب مكانها من الدرس.
- إضافة المتن المشروح فوق الشرح وتقسيمه مع الشرح بحسب موطنه.
- ما أشكل من كلام الشيخ فإنه يرجع فيه لمشايخنا الفضلاء من تلاميذ الشيخ.
- يحذف من كلام الشيخ ما كان خارجا عن الدرس ككلام جانبي، أو توجيه للطلاب مما لا علاقة له بالشرح.
- توحيد عبارات الصلاة على النبي ﷺ، والترضي على الصحابة ش؛ وذلك لاختلاف استعمال الشيخ لها في بعض المواطن.
- عزو الآيات القرآنية إلى مواطنها مع ضبطها بالرسم العثماني.
- عزو الأحاديث الواردة في الشرح إلى مصادرها مع بيان حكمها.
- عزو المسائل والأحكام التي يشير إليها الشيخ إلى مظانها من كتب أهل العلم.

- التعريف بما ورد في الشرح من أعلام وفرق مع تفسير ما يلزم من غريب الكلمات والمصطلحات العلمية.
- ترجمة مختصرة للشيخ الجامي ولصاحب المتن المشروح.
- وضع الفهارس العلمية اللازمة لذلك.

وفي الختام أسأل الله جل في علاه أن يبارك في هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وجزا الله خيرا كل من أعان على إخراج هذا الشرح حتى جاء بهذه الصورة وأخص منهم الأخ: محمد أمجد البيات، فجزاهم الله خيرا وبارك فيهم، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

أبو جعفر جمال بن عبد السلام الهجرسي

منتصف شهر صفر لعام ١٤٣٢ من الهجرة

بمدينة رسول الله ﷺ

التعريف بالإمام محمد بن عبد الوهاب

صاحب شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها [1]

اسمه ونسبه :

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ابن محمد ابن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن وهب بن تميم.

مولده ونشأته العلمية :

ولد رحمه الله سنة ١١١٥ هـ في بلدة العيينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم سريع الإدراك، ثم اشتغل بالعلم وجد في طلبه، وبعد بلوغه قدّمه والده إماما في الصلاة، ثم حج فقضى فريضة الإسلام، ثم قصد المدينة وأقام بها شهرين، ثم رجع إلى وطنه واشتغل بالقراءة على مذهب الإمام أحمد رحمه الله، ثم رحل في طلب

---

(١) ولسنا هنا بصدد الترجمة للشيخ رحمه الله فسيرته معروفة مشهورة وانظر ترجمته في: « الدرر السنية » (٣/١٢) ، و « روضة الأفكار » لابن غنام ، وكتاب « علماء نجد » للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ.

العلم وزاحم العلماء الكبار ورحل إلى البصرة والحجاز مرارا واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ، وأتى الأحساء وهي وقتئذ مليئة بالعلماء والمشايخ فسمع وناظر، وبحث واستفاد.

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلاء وعلماء فضلاء، ففي نجد عن أبيه وغيره، وفي المدينة عن الشيخ محمد حياة السندي وعن الشيخ إسماعيل العجلوني وغيرهما، وأخذ عن الشيخ أفندي الداغستاني وغيره، وأجازه محدثوا العصر بكتب الحديث وغيرها.

دعوته :

بدأ الشيخ دعوته في بلدة حريملاء لوجود والده فيها، وذلك سنة ١١٤٣ هـ، لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها على قتله.

توجه الشيخ بعدها إلى العيينة وعرض دعوته على أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه على رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، ولكن لما كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال شكوا إلى شيخهم رئيس بني خالد فكتب إلى عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فخرج الشيخ من العيينة إلى الدرعية ولما سمع بمقدمه الأمير

محمد بن سعود رحب به وبادره بالقبول والتأييد، فمضي الشيخ والأمير في نشر الدعوة حتى عم خيرها أرجاء البلاد، وكان لها الأثر الواضح في حركات الإصلاح التي قامت في نواحي البلاد الإسلامية.

وفاته :

توفي الشيخ في الدرعية يوم الإثنين من شهر شوال سنة ١٢٠٦ هـ، وكان يومًا مشهودًا تزاحم الناس على سريره وصلوا عليه في بلدة الدرعية.

وقد رثاه جمع من أهل العلم ومنهم الشوكاني الذي قال :

مصاب دها قلبي فـأذكى غلائـلي وأصمى بسهم الافتجـاع مقـاتلي

وخطب به أعشار أحشائي صدعت فأمست بفرط الوجد أي ثواكلي[١]

إلى آخر ما قال رحمه الله في أبيات طويلة.

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٢٠) .

مؤلفاته :

للشيخ مصنفات كثيرة نافعة، منها :

١ كتاب التوحيد.

٢ كشف الشبهات.

٣ ثلاثة الأصول.

٤ نواقض الإسلام.

وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع مؤلفات الشيخ في مجموع واحد.

ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان رحمه الله [1]

التعريف بالشيخ:

أ – اسمه: هو: محمد أمان بن علي جامي علي، يكنى بأبي أحمد.

ب – موطنه: الحبشة، منطقة هرر، قرية طغا طاب.

ج – سنة ولادته: ولد كما هو مدون في أوراقه الرسمية سنة [١٣٤٩] تسع وأربعين وثلاثمائة وألف هـ.

طلبه للعلم:

أ- طلبه للعلم في الحبشة:

نشأ الشيخ في قرية طغا طاب وفيها تعلم القرآن الكريم، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، ودرس العربية في قريته أيضًا على الشيخ محمد أمين الهرري ثم ترك قريته على عادة أهل تلك الناحية إلى قرية أخرى وفيها التقى مع زميل طلبه وهجرته إلى البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية ثم ذهبا معًا

---

(١) أصل هذه الترجمة هي ما كتبه تلميذه مصطفى بن عبد القادر الفلاني حفظه الله، في ٥/ ٣/ ١٤١٩هـ، وهي مطبوعة ضمن مطويات مكتبة الفرقان.

إلى شيخ يسمى الشيخ موسى ودرسا عليه نظم الزبد لابن رسلان. ثم درسا متن المنهاج على الشيخ أبادر وتعلما في هذه القرية عدة فنون.

ثم اشتاقا إلى السفر للبلاد المقدسة مكة المكرمة للتعلم وأداء فريضة الحج. فخرجا من الحبشة إلى الصومال فركبا البحر متوجيهن إلى عدن - حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر - ثم سارا إلى الحديدة سيرًا على الأقدام فصاما شهر رمضان فيها ثم غادرا إلى السعودية فمرا بصامطة وأبي عريش حتى حصلا على إذن الدخول إلى مكة وكان هذا سيرًا على الأقدام.

وفي اليمن حذرهما بعض الشيوخ فيها من الدعوة السلفية التي يطلقون عليها الوهابية.

ب - طلبه للعلم في السعودية:

بعد أداء الشيخ فريضة الحج عام ١٣٦٩هـ بدأ رحمه الله طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه، واستفاد من فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة رحمه الله وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي رحمه الله وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الصومالي وغيرهم.

وفي مكة تعرف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وصحبه في سفره إلى الرياض لما افتتح المعهد العلمي وكان ذلك في أوائل السبعينيات.

وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر وفضيلة الشيخ علي بن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة سابقًا، كما أنه لازم حلق العلم المنتشرة في الرياض.

وأيضًا فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .

كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله ، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فنهل من علمه الجم وخلقه الكريم، كما أخذ العلم بالرياض على فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله ، وفضيلة الشيخ العلامة المحدث حماد الأنصاري رحمه الله وتأثر المُتَرجم له بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتى في أسلوب تدريسه.

كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المُتَرجم له لم يدرس على الشيخ السعدي. كما تعلم على فضيلة الشيخ العلامة محمد خليل هراس رحمه الله وكان متأثرًا به أيضًا، كما استفاد من فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله .

مؤهلاته العلمية:

حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ثم انتسب بكلية الشريعة وحصل على شهادتها سنة ١٣٨٠هـ، ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب عام ١٩٧٤م، ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد كان للشيخ رحمه الله مكانته العلمية عند أهل العلم والفضل، فقد ذكروه بالجميل وكان محل ثقتهم، بل بلغت الثقة بعلمه وعقيدته أنه عندما كان طالبًا في الرياض ورأى شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نجابته وحرصه على العلم قدمه إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله حيث تم التعاقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان.

وأيضًا مما يدل على الثقة بعلمه وعقيدته ومكانته عند أهل العلم أنه عند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتُدب للتدريس فيها بعد وقوع اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله عليه، ومعلوم أن الجامعة الإسلامية انشأت لنشر العقيدة السلفية وقد أوكلت الجامعة تدريس هذه العقيدة على فضيلة المترجم له بالمعهد الثانوي ثم بكلية الشريعة ثقة بعقيدته وعلمه ومنهجه رحمه الله، وذلك ليُسهم في تحقيق أهداف الجامعة.

وإليك أخي القارئ كلام العلماء الثقات فيما كتبوه عن فضيلة شيخنا محمد أمان الجامي رحمه الله :

ففي كتاب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله رقم (٦٤/ في ٩/ ١/ ١٤١٨هـ) قال عن الشيخ محمد أمان:

« معروف لدي بالعلم والفضل وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلى الله سبحانه والتحذير من البدع والخرافات غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع قريب ».

وكتب فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في كتابه المؤرخ ٣/ ٣/ ١٤١٨ هـ قائلًا: « الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلى الله على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق يدعو إلى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة ويوجه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذرهم من المبادئ

الهدامة والدعوات المضللة، ومن لم يعرفه شخصيًا فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير ».

وكتب فضيلة الشيخ العلّامة عبد المحسن بن حمد العباد المدرس بالمسجد النبوي، حفظه الله تعالى: « عرفت الشيخ محمد أمان بن علي الجامي طالبًا في معهد الرياض العلمي ثم مدرسًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية ثم في المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة سليم الاتجاه، وله عناية في بيان العقيدة على مذهب السلف، والتحذير من البدع وذلك في دروسه ومحاضراته وكتاباته غفر الله له ورحمه وأجزل له المثوبة ».

وقال معالي مدير الجامعة الإسلامية الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود وفقه الله في كتابه المؤرخ في ١٥/ ٤/ ١٤١٧هـ: « الحمد لله رب العامين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: فقد رغب مني الأخ الشيخ مصطفى بن عبد القادر أن أكتب عن الشيخ محمد أمان الجامي ﵀ شيئًا مما أعرفه عنه من المحاسن لتكون من بعده في الآخرين فأجبته بهذه الأحرف اليسيرة على الرغم من أنني لم أكن من تلامذته ولا من أصحابه الملازمين له طويلي ملاقاته ومخالطته، ولكن صار بيني وبينه ﵀ لقاءات استفدت منها، وتم من خلالها التعارف وانعقاد المحبة بيننا في الله تعالى وتوثيق التوافق على منهج السلف

الصالح في العقيدة والرد على المخالفين، رحم الله الشيخ محمد أمان وأسكنه فسيح جناته وألحقنا وإياه بالصالحين من أمة محمد سيد المرسلين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ».

وقال فضيلة الشيخ محمد بن علي بن محمد ثاني المدرس بالمسجد النبوي ﷬ في كتابه المؤرخ في ٤/ ١/ ١٤١٧ هـ: « وفضيلته عالمٌ سلفيٌ من الطراز الأول في التفاني في الدعوة الإسلامية وله نشاط في المحاضرات في المساجد والندوات العلمية في الداخل والخارج، وله مؤلفات في العقيدة وغيرها، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجزل له الأجر في الآخرة إنه سميع مجيب ».

وقال فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب مرزوق البنا حفظه الله عن المُترجم له: « ولقد كان ﷬ على خير ما نُحب من حسن الخلق وسلامة العقيدة وطيب العشرة، أسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنته ويجمعنا جميعًا إخوانًا على سرر متقابلين ».

وكتب فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث ﷬ في كتابه المؤرخ في ٨/ ٢/ ١٤١٧هـ فمما جاء فيه: « وبالجملة فلقد كان ﷬ صادق اللهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة داعيًا إلى الله بقوله وعمله ولسانه،عفّ اللسان قوي البيان سريع الغضب

عند انتهاك حرمات الله، تتحدث عنه مجالسه في المسجد النبوي الشريف التي أدّاها وقام بها، وتآليفه التي نشرها ورحلاته التي قام بها، ولقد رافقته في السفر فكان نعم الصديق، ورافق هو فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب أضواء البيان وغيره - فكان له أيضًا نعم الرفيق - والسفر هو الذي يظهر الرجال على حقيقتهم، لا يجامل ولا ينافق ولا يماري ولا يجادل، إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه وهذا هو دأب المؤمنين كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٥١] الآية، وأشهد الله تعالى أنه رحمه الله قد أدى كثيرًا مما عليه من خدمة الدين، ونشر سنة سيد المرسلين. ولقد صادف كثيرًا من الأذى وكثيرًا من الكيد والمكر فلم ينثن ولم يفزع حتى لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ».

وكتب فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بن حمود الوائلي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية ووكيلها للدراسات العليا والبحث العلمي في كتابه المؤرخ في ٢٩/ ٥/ ١٤١٧هـ: « بدأت معرفتي بالشيخ رحمه الله عام ١٣٨١هـ عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريمة حفظها الله بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام المذكور، وكان رحمه الله من أوائل المدرسين بها وكنت أحد طلابها، كان رحمه الله من بين عدد من المشايخ الذين

يولون طلابهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلميذه في الفصل وكان في عامة دروسه يعني عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح ﷺ لا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة، لا فرق في ذلك بين دروس العقيدة وغيرها، وهو حين يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعى في غرسها في نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنما يتحدث بلسان خبير بتلك العقيدة، لأنه ذاق حلاوتها وسبر غورها حتى إن السامع المشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حبًا وتعلقًا بها، وكانت له رحلات في مجالي الدعوة والتعليم خارج المملكة، لا يدع مناسبة تجيء أو فرصة تمر دون أن يبين فيها سمو هذه العقيدة وصفاءها ورحابتها بيانًا شافيًا، وأن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها، وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر، وكان يسعى في عامة مباحثها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية في قدرته - أثناء المناقشة - على كشف زيف كل منهج خرج عن عقيدة السلف وبطلان كل دعوة صوبت نحو دعاتها المخلصين الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها

وكتب فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس المدرس بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض وفقه الله: « فإن فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله رحمة واسعة كان فيما علمت من أشد المدافعين عن عقيدة السلف الصالح رحمهم الله جميعًا الداعين إليها، الذابين عنها في الكتب والمحاضرات والندوات. وكان شديدًا في الإنكار على من خالف عقيدة السلف الصالح، وكأنما قد نذر حياته لهذه العقيدة تعلمًا وتعليمًا وتدريسًا ودعوة، وكان يدرك أهمية هذه العقيدة في حياة الإنسان وصلاحها، كما كان يدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة على حياة الفرد والمجتمع، فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين ».

مما سبق من كلام أهل العلم والفضل عن الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله تظهر مكانته العلمية وجهوده وجهاده في الدعوة إلى الله تعالى منذ ما يقرب من أربعين عامًا، وصلته الوثيقة بالعلماء، واهتمامه رحمه الله وعنايته بتقرير وبيان العقيدة السلفية والرد على المبتدعة المتنكبين لصراط السلف الصالح ودحض شبههم الغوية، حتى يكاد يرحمه الله لا يُعرف إلا بالعقيدة وذلك لعنايته بها، هذا وكانت له مشاركة في علم التفسير والفقه مع المعرفة التامة باللغة العربية .

ذكر بعض مؤلفاته رحمه الله:

منها كتاب (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه)، وهو من أنفع كتبه رحمه الله، وكتاب (أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام)، ويحتوي هذا الكتاب على عدة محاضرات فيها تقرير العقيدة السلفية وعرض للدعوة في أفريقيا، وذكر لمشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث مع وضع الحلول المناسبة لتلك المشاكل، ورد على الصوفية، وكتاب (مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة)، ورسالة بعنوان (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) وهي في الأصل محاضرة ألقاها في السودان سنة ١٣٨٣هـ ورد فيها على الملحد محمود محمد طه، ورسالة بعنوان (حقيقة الديموقراطية وأنها ليست من الإسلام) وهي في الأصل محاضرة ألقاها سنة ١٤١٢هـ، ورسالة بعنوان (حقيقة الشورى في الإسلام)، ورسالة بعنوان (العقيدة الإسلامية وتاريخها).

ذكر بعض تلاميذه:

رجل هذه مكانته عند ذوي العلم، وهذه جهوده في الدعوة إلى الله تعالى وحبه لهذه العقيدة السلفية الخالدة التي أوذي في سبيل نشرها وتقريرها في نفوس المسلمين، سواء في داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها يصعُبُ حصر طلبته وتلاميذه، وكان من أبرز طلبته كل من:

فضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، وفضيلة الشيخ زيد بن هادي المدخلي حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور علي بن ناصر فقيهي المدرس بالمسجد النبوي حفظه الله، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن حمود الوائلي المدرس بالمسجد النبوي ووكيل الجامعة الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي حفظه الله، وفضيلة الشيخ المحدث عبدالقادر بن حبيب الله السندي رحمه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز سندي المدرس بالجامعة الإسلامية حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي المدرس بالجامعة الإسلامية حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح الرفاعي، وفضيلة الشيخ الدكتور فلاح إسماعيل المدرس بجامعة الكويت حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور فلاح بن ثاني المدرس بجامعة الكويت حفظه الله، وآخرين يصعب حصرهم.

ذكر بعض أخلاقه الفاضلة:

١- **كان** رحمه الله **ناصحًا** - فيما نحسب - لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويظهر ذلك بأدنى تأمل، فقد نذر حياته في تقرير عقيدة السلف الصالح، وذلك من خلال دروسه وتآليفه ومحاضراته وردوده على المخالفين للكتاب والسنة، وكان عادلًا في رده على المخالف مجانبًا للعصبية والهوى.

٢- **قلة مخالطته الناس:** كان رحمه الله معروفًا بقلة مخالطته للناس إلا في الخير، فأغلب أوقاته وأيامه محفوظة، وطريقته في ذلك معروفة إذ يخرج من البيت إلى العمل بالجامعة ثم يعود إلى البيت ثم إلى المسجد النبوي الشريف لإلقاء دروسه بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد الفجر وهكذا إلى أن لازم الفراش بسبب اشتداد المرض.

٣- **عفة لسانه:** كان رحمه الله عفّ اللسان لا يلمز ولا يطعن ولا يغتاب، بل ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا بحضرته، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه، إذا وقع بعض طلبة العلم في خطأ طلب الشريط أو الكتاب فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ قام بما يجب على مثله من النصيحة.

٤- **عفوه وحلمه** : فبقدر ما واجه من الأذى والمحن والكيد والمكر قابل من أساء إليه بالحلم والعفو، وقد كان يأتيه بعض من كان ينال من عرضه بالسب، أو الطعن، أو الافتراء، فيستسمح منه فيقول رحمه الله: أرجو الله تعالى ألا يدخل

أحدًا النار بسببي، ويسامح من يتكلم في عرضه ويقول: لا داعي لأن يأتي من يعتذر فإني قد عفوت عن الجميع، ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

٥- **عنايته وتعهده بطلبته:** فقد كان ﷺ من الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، بل كان يحضر مناسباتهم ويسأل عن أحوالهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية، وبالجملة فلقد كان يبذل ماله وجاهه ووقته لمساعدة المحتاج منهم، وكان هذا التصرف منه يترك أثرًا بالغًا عند طلابه، فرزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم. وقد شعروا بعد موته بفراغ في هذه الناحية، والحق إن الشيخ ﷺ اجتمعت فيه خصال خير كثيرة، وما نقلته آنفًا عن أهل العلم كافٍ والله أعلم.

عقيدته السلفية :

مما يدل على عقيدة الشيخ السلفية أنه كان يدرس كتب العقيدة السلفية مثل: الواسطية والفتوى الحموية الكبرى والتدمرية وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز وثلاثة الأصول وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين والأصول الستة والواجبات المتحتمات والقواعد المثلى وتجريد التوحيد للمقريزي.

ورده على أهل البدع كالأشاعرة والصوفية والشيعة الروافض، وذلك في كتبه ومقالاته في المجلات العلمية وفي محاضراته ودروسه، وانظر على سبيل المثال كتابه (أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام)، ومن خلال كلام أهل العلم السابق في بيان عقيدته السلفية

مرضه وموته:

لقد ابتلي في آخر عمره ﷺ بمرض عُضال حتى ألزمه الفراش نحو عام فصبر واحتسب، وفي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤١٦هـ أسلمت روحه لبارئها، فصُلي عليه بعد الظهر ودفن في بقيع الغرقد بالمدينة النبوية.

وشهد دفنه جمع كبير من العلماء والقضاة وطلبة العلم وغيرهم، وبموته حصل نقص في العلماء العاملين فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويخلف على المسلمين عددًا من العلماء العاملين آمين.

بسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيْم أسأَلُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أنْ يتولاكَ في الدُّنيا والآخرة، وأنْ يَجعلكَ مباركًا أينما كنتَ، وأنْ يجعلكَ ممن إذا أعطَى شَكَر، وإذا ابتُلِيَ صَبر، وإذا أذنَبَ استغفَرَ، فإنَّ هؤلاء الثَّلاث عُنوان السَّعادة ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: بسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيْم أسأَلُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أنْ يتولاكَ في الدُّنيا والآخرة، وأنْ يَجعلكَ مباركًا أينما كنتَ، وأنْ يجعلكَ ممن إذا أعطَى شَكَر، وإذا ابتُلِيَ صَبر، وإذا أذنَبَ استغفَرَ، فإنَّ هؤلاء الثَّلاث عُنوان السَّعادة.

الشَّرح:

[الإنسان] يُبتلى بأشياء كثيرة فيصبر ولا يجزع ويحتسِب الأجر على الله، « وإذا أذنبَ استغفَرَ »، فمَن الذي لا يُذنب؟! فالذُّنوب كثيرة من الموبقات والكبائر والصغائر ومحقَّرات الذنوب، فإذا أحسَّ أنه اقترف ذنبًا بادر بالاستغفار، فـ: « لا كبيرة مع الاستغفار ولا

صغيرة مع الإصرار »[1]، فمَن ارتكب صغيرة ولم يستغفر ولم يتُب وأصرَّ عليها تنقلب الصغيرة كبيرةً، ولا كبيرة مع الاستغفار: المراد بالاستغفار في مثل هذا الحديث: التوبةُ، أي لا كبيرة مع التوبة، مَن اقترف كبيرةً فتاب وصدق مع الله في توبته بالإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود، إذا كان الذنب فيما بينه وبين ربه، وبردِّ المظالم بالنسبة لحقوق الناس وثبت في ذلك يمحو الله بالتوبة الذَّنب[2]، لذلك يقول الشيخ: « **فإنَّ هؤلاء الثَّلاث عُنوان السَّعادة** » ، فمَن وفِّق إلى هذه العناوين الثلاثة فقد وفِّق كل التوفيق.

(١) رُوي مرفوعًا من حَديث ابن عبَّاس وأنس وأبي هُريرة وعائشة رضي الله عنهم وجميع أسانيدها واهية سَاقِطة. انظُر تفصيلها في « السِّلسة الضعيفة » رقم (٤٨١٠)، وقد صحَّ من كلام ابن عبَّاس عند البيهقِي وابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم.

(٢) في أحاديث وآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[طه: ٨٢].

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **أنْ تعبدَ اللهَ وَحدَه مخلصًا له الدِّين.**

الشَّرح:

هذا ما جاء به إبراهيم ومن بعده من الأنبياء وقبله نوح. هذا هو الدِّين كلُّه، الدِّين الذي اتفقت عليه الأنبياء: أن تعبد الله وحدَه مخلصًا له الدِّين، وهذا الكلام في ظاهره ليس فيه إشكال، فما من مسلمٍ ينتسب إلى الإسلام إلا ويدَّعي هذه الدعوى أنه يعبد الله وحدَه مخلصًا له الدِّين، ولكن قد يقع العابد في الشّرك بالله إمَّا الشّرك الأصغر أو الأكبر؛ لأنه لا يعلم، لأن هذا الباب باب لا يُدرس كثيرًا ولا يطرق كثيرًا، لذلك يحصل فيه الخلط.

و« مَن يُرد اللهُ به خيرًا يفقِّههُ في الدِّين »[1]، ويَفهم الفهم الصَّحيح في دين الله بدءاً من العقيدة ومرورًا على العبادة والمعاملات

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية.

وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها كما قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ....

إلى آخر الأمور الدِّينية، وقلَّ من يهتدي للتفريق بين الشِّرك والتوحيد وبين البدعة والسُّنة إلا مَن وفَّقهم الله وساروا على منهج السَّلف من الفرقة الناجية.

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

الشَّرح:

اللام في ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ لام الحكمة، وهي التي يسمِّيها النُّحاة لام العلَّة[1]، فالعلةُ والحكمة مِن خلقِ الجن والإنس عبادة الله، وليعرفوه

---

(١) ينظر « مغني اللبيب » (ص ٢٧٥)، « لسان العرب » (٣/ ٢٧٣)، « شفاء العليل » لابن القيم (ص ١٩١).

فإذا عرفتَ أنَّ الله خلقكَ لعبادته، فاعلَم أنَّ العبادة لا تسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد ....

وليوحِّدوه وليخلصوا له العبادة ليكونوا عبيدًا له وحده لا شِركَة فيه؛ لهذا خلقهم[1].

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **فإذا عرفتَ أنَّ الله خلقكَ لعبادته، فاعلَم أنَّ العبادة لا تسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد.**

الشَّرح:

أي إلا مع الإخلاص، فالعبادة التي ليس فيها إخلاص وليس فيها إفراد لله تعالى، ليست بعبادة كلا شيء، وضرب الشّيخ لذلك مثلاً، فقال:

---

(١) ينظر « تفسير السمعاني » (٥/ ٢٦٤)، « تفسير ابن كثير » (٧/ ٤٢٥)، « أضواء البيان » للشنقيطي (٧/ ٤٤٤).

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **كما أنَّ الصَّلاةَ لا تسمَّى صلاةً إلا مع الطَّهارة.**

الشَّرح:

ولو صلّى الإنسان طول الليل والنَّهار ولكن بلا طهارةٍ، هل تعتبر صلاة؟ الجواب: لا، كذلك من يعبدون الله كثيرًا وكثيرا ويُكثرون من العبادة ويتعبون أنفسهم، ولكن من وقتٍ لآخر يجأر باسم غير الله، ويلتجأ إلى غير الله، ويستغيث بغير الله، يصلِّي لله كثيرًا مئات الركعات ولكن عند الشِّدة ينسى ربَّه الذي كان يسجُد له فيقول: يا سيدي فلان اشتدَّت الأمور ما الحيلة؟! لا حيلة لنا إلا الالتجاء إلى السَّادة! هنا نقَضَ تلك العبادة كلها كما مثَّل الشيخ بقوله:

فإذا دخل الشِّرك في العبادة فسَدَت، كالحَدَث إذا دَخلَ في الطَّهارةِ ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **فإذا دخل الشِّرك في العبادة فسَدَت، كالحَدَث إذا دَخلَ في الطَّهارةِ.**

الشَّرح:

إذا تطهّر الإنسان ثم حصل منه حَدَث بنواقض الوضوء المعروفة [فصلاته باطلةٌ]، ولو كان قريب عهد بالوضوء، فلو خرج إنسان إلى الميضأة ثم دخل المسجد فخرج منه الرِّيح لفسد هذا الوضوء، ولو صلَّى بعد هذا الحدث فصلاته باطلةٌ.

كذلك من قال: لا إله إلا الله. وصلَّى وصام وأكثر العبادة، ومع ذلك من وقتٍ لآخر يعبد غير الله مع الله، وكلمة « يعبد غير الله »: يستثقلها كثيرٌ من المسلمين فيقولون: كيف يتّهم المسلمون أنهم يعبدون

. . . .

غير الله؟! وسبب هذا الاستغراب: الجهلُ بأنواع العبادة؛ لأن العبادة عند كثيرٍ من جماهير المسلمين: أركان الإسلام الخمس بس![1].

أما الدُّعاء والاستغاثة والذَّبح والنذر والالتجاء والتضرُّع والتذلل أمام الأضرحة والمشَاهِد وأمام القبور، وتلك الهَمَسَات في آذان الموتى، لا يعتبرون أن تلك عبادة: تلك من أهم العبادات « الدُّعاء هو العبادة »[2]، الدُّعاء مخُّ العبادة[3]. ومَن يدعون غير الله ويستغيثون

---

(١) جاء في « العامي الفصيح » من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة: بَسْ: بمعنى حَسْب (فارسيَّة). وكذا في « المعجم الوسيط » (١/ ٥٥). وانظر « المزهر » للسيوطي (١/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي في « الكبرى » (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١/ ٦٦٧) وقال: صحيح الإسناد. عن النعمان بن بشير. وهو حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في « صحيح أبي داود » (الأم) (٥/ ٢١٩). وله شاهد من حديث البراء بن عازب: أخرجه أبو يعلى (١/ ٢٦٢).

(٣) ورد من حديث أنس أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وقال: حديث غريب. وفي إسناده: الوليد بن مسلم مدلِّس، وقد عنعن. وابن لهيعة وهو مخلِّط وفيه ضعفٌ من قبل حفظه.

....

بغير الله وهُم من المكثرين في الصَّلاة والصيام ونوافلهما، والحجِّ والعمرة والإنفاق، ومع ذلك لم يخلصوا العبادة لله، ولم يجعلوا قلبهم لله وحدَه، يسكن في قلوبهم غير واحدٍ من المعبودين، معظَّمون في قلوبهم كل التعظيم، كما يعظِّم الموحّد رب العالمين! هؤلاء لا عبادة لهم، بل من مات على ذلك بعد أن عرفَ وقامت عليه الحجَّة ولكنه لم يستطع أن يُقلع؛ لأنه تعوَّد وتلكأ ولم يُقلِع إلى أن مات: مات على غير الإسلام.

وإنما قلت إذا قامت عليه الحجَّة[1]، لأن أمثال هؤلاء لا بدَّ من دعوتهم وتبصيرهم في دين الله وبيان حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ لهم حتى تقوم عليهم الحجَّة.

---

(١) بيّن الشيخ هذا الأمر وتوسّع فيه في آخر شرحه لهذه القواعد.

فإذا عرفتَ أن الشِّرك إذا خالَطَ العبادةَ أفسَدَها وأحبَطَ العَمَل وصارَ صاحِبهُ من الخالدين في النَّار؛ عَرفتَ أنَّ أهمَّ ما عَليكَ معرفة ذلكَ ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **فإذا عرفتَ أن الشِّرك إذا خالَطَ العبادةَ أفسَدَها وأحبَطَ العَمَل وصارَ صاحِبهُ من الخالدين في النَّار؛ عَرفتَ أنَّ أهمَّ ما عَليكَ معرفة ذلكَ.**

الشَّرح:

أي: معرفة الشِّرك وأنواعه والعبادة وأنواعها، أي: أن تعرف حقّ الله على العباد، وتصرف هذا الحق لله على علمٍ وبصيرة دون أن تصرِفه لغير الله.

لعلَّ الله أنْ يخلِّصك من هذه الشَّبكَة، وهي: الشِّرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **لعلَّ الله أنْ يخلِّصك من هذه الشَّبكَة، وهي: الشِّرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الشَّرح:

عندما ألَّف الشيخ هذه الرسالة كانت بلاد نجد التي أصبحَت بعد ذلك دار توحيد كان يعبِّر عن واقع القوم، وإنهم يقعون في هذه الأشياء، ولكن جزاه الله خيرًا جاهَدَ وانتشر التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة، ثم خرج التوحيد من نجد إلى الحجاز وانتشر في الجزيرة، وهو اليوم - بحمد الله - منتشرٌ حتى في أمريكا وفي دول أوروبا، لا أقول في الدول العربية والإفريقية وشرق آسيا، لكن انتشر هذا

التوحيد اليوم في شتى الأقطار؛ ولذلك للدّاعي المجدِّد أجر كل موحِّد وأجر كل عابد؛ لأنه دعا إلى هدى « **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنِ اتَّبَعَهُ** »[1]، أو كما قالﷺ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ ، أي لمن مات على الشِّرك، وليس معنى ذلك: أن مَن أشرك بالله لو تابَ وأنابَ أنَّ الله لا يغفر له. ليس هذا معنى الآية، معنى الآية: مَن مات وهو يدعو من دون الله ندًّا لا يَغفِر الله له؛ فيدخل النار خالدًا مخلَّدًا[2].

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، « ما دون ذلك » قد يغفره الله بدون توبة، بأن تكثر حسناته وتغلب على سيِّئاته، وبأن يقيِّض له الشُّفعاء، وبأن يكفِّر عنه بالمصائب، وبأشياء كثيرة من المكفرات، أما الشِّرك فلا بدَّ من التوبة قبل الموت، أما مَن مات على ما دون الشِّرك فأمرُه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة.

(٢) ينظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٣١)، « تفسير ابن سعدي » (ص ١٨١).

إلى الله، أي مَن ارتكب الكبائر والموبقات فيها دون الشِّرك ومات على ذلك قبل أن يتوب، أمره إلى الله، إن ماتَ على خير عمله رَجَونا له خيرًا، وإن مات على سيء عمله خِفنا عليه، ولكن لا نَقطَع بأنه من أهل النار مهما كانت الذنوب كبيرة ومن الموبقات، بل نفوِّض أمره إلى الله، هذا الذي دَرَج عليه سلف هذه الأمَّة إلى يومنا هذا إذا استثنينا المعتزلة ومَن نحى نحوهم[1].

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **وذلك بمعرفة أربَع قواعِد ذَكَرَها الله تعالى في كتابه.**

الشَّرح:

هذا الكلام كله تمهيد للقواعد الأربع، تمهيد عظيم ومشروح.

(١) ينظر: « مقالات الإسلاميين » للأشعري (١/ ١٧٤-١٩٨)، « الفرق بين الفرق » (ص ٨٢-١٠٩)، « الفصل » لابن حزم (٣/ ٢٢٩- ٤/ ١٩٠)، « شرح الأصول الخمسة » (ص ٦٦-٦٣٢). وينظر رسالة دكتوراة بعنوان « وسطية أهل السنة بين الفرق »، محمد با كريم (ص ٣٥٣، وما بعدها).

القاعدةُ الأولى: أن تعلَمَ أنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالِق الرازق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدخلهم في الإسلام ....

فقال: « وذلك » أي: تخلُّصك من الشِّرك إنما يقع « بمعرفة أربَع قواعِد ذَكَرَها الله تعالى في كتابه »، وهذا يسمَّى استقراء واستنتاج من القرآن.

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **القاعدةُ الأولى: أن تعلَمَ أنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالِق الرازق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدخلهم في الإسلام.**

الشَّرح:

أي إذا أردنا أن نلخِّص هذه القاعدة نقول: الإقرار بتوحيد الربوبية وحدَه لا يُدخل المرء في الإسلام، هذا ملخَّص القاعدة الأولى. لماذا؟ لأن الكفار الذين استحلَّ النبي ﷺ دمائهم وأموالهم وقاتلهم،

....

كانوا يقرُّون لله تعالى بالربوبية، يؤمنون بأنَّ الله هو الخالق الرَّازق الذي يدبِّر الأمر من السَّماء إلى الأرض، فيؤمنون هذا الإيمان، أي: يفردون اللهَ بأفعاله سبحانه لا يعتقدون أن آلهتم من الات والعزَّى ومَنَاة وهُبل أنها شاركت الله في الخلْق والرِّزق والعَطَاء والمنع، لا يعتقدون ذلك[1]، وربما يوجد اليوم مَن يشرك بالله تعالى في هذا التوحيد، أي في توحيد الربوبيَّة الذي لم يشرك فيه المشركون الأولون، فالمشركون الأولون لم يشركوا بالله في ربوبيته، أي: لم يعتقدوا أن لأحد من خلق الله تصرف في هذا الكون بالعطاء والمنع والنفع والضر.

هل يوجد اليوم مَن يشرك هذا الإشراك في توحيد الربوبية؟

نعم يوجد.

---

(١) سيأتي دليل ذلك فيما سيذكره المؤلف والشَّارح.

....

والفرق بين القوم في عهد الجاهلية [واليوم أنه في السابق] لا يوجد تصوُّف، فالتصوف هو الذي علَّم الناس في الآونة الأخيرة وجود أربابٍ يتصرَّفون في هذا الكون مع الله، تنصُّ كتب المتصوفة أو بعض كتبهم أنَّ الصالحين والأولياء مشغولون بالخِدمة في حياتهم، وإذا ماتوا تفرَّغوا ليتصرَّفوا في هذا الكون لأتباعهم[1] ؛ لذلك يتوكل الدَّراوِشَة والمريدون على شيوخهم أكثر من توكُّلهم على الله في

---

(١) يقول الشعراني: « كتب إليَّ الشيخ عبد الله أحد أصحاب عمر النبتيتي أنه رآني بحضرة النبي وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب: ألبس عبد الوهاب الشعراني طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه » « جامع كرامات الأولياء » (٢/ ١٣٥)، ويقول الدباغ في « الإبريز » عن الأولياء: « لهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين! فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف » وانظر « الصوفية نشأتها وتطورها »، تأليف: محمد العبْده، طارق عبد الحليم.
« القبورية في اليمن » تأليف أحمد بن حسن المعلم.

نجاتهم حتى يوم القيامة، وفي صلاح شؤونهم، وفي حفظ أموالهم وأولادهم وفي سعة أرزاقهم، إنما يعتمدون على الشُّيوخ بعد وفاتهم، وأما في حياتهم يُخلصون لهم الخدمة والخضوع والتذلُّل والسُّجود على أقدامهم رجاء أن ينفعوهم بعد وفاتهم. هذا دين الصُّوفية! هذا الدِّين غير معروف في عهد المشركين الأوَّلين، [قال تعالى عنهم:] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، ولا يُشركون بالله أبدًا في الربوبية؛ لذلك يقول الشيخ مستدلًا على هذه القاعدة التي استنتجها من القرآن.

والدَّليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **والدَّليل قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٣١].

الشَّرح:

إذا كان الأمر كذلك فما تتقون الله أن تُشركوا به في عبادته، طالما أمنتم هذا الإيمان وتعلمون أنه هو المتصرِّف في كل ذلك، فيلزمكم أن تُفردوا الله تعالى بعبادته، لذلك توحيد الربوبية توحيد يُلزم به المشركون إلزامًا. أي يُستدل بتوحيد الربوبية على إلزام المشركين بتوحيد العبادة، وإلا لا يذكر القرآن توحيد الربوبية ليدعو الناسَ إليه؛ لأن الناس موحِّدون من قبل، ولكن القرآن - كما ترون - يستدل بتوحيد الربوبية

. . . .

على توحيد العبادة ويلزم الناس الذين يشركون بالله تعالى في عبادته يلزمهم عَدَم الإشراك بتوحيد الربوبية حيث وحَّدوا الله تعالى في ربوبيته.

لكن إذا وقع الإنسان - المنتسب إلى الإسلام - المكثِر من العبادة إذا وقع في النَّوعين معًا بم تُلزمه؟ فالمشرِك ألزمته بتوحيد الربوبية لأنه موحِّد بربوبيته، وإذا وجد من يشرك بالله في ربوبيته وفي عبادته ما الحيلة؟

الحيلة إنما ترجع إلى العقل، وتذكّره من خلقه؟ من حيث الخلق الكل متفق أنَّ الله وحدَه هو الخالق، لكن إذا آمنت بأنه الخالق وتؤمِن بأنه الرازق كيف تدَّعي بأن الشيخ يؤثّر في رزقك وفي حياتك وأَجلِك وينفعك ويضرُّك؟! يقول: لأنه من الصَّالحين، إنَّ الله أذِن له أن يتصرَّف في هذا التصرُّف!.

....

ولذلك إقناع الجاهل يصعُب. القولُ بأنَّ الله أذِن لهُ يحتاج إلى دليل، ولا دليل! ومطالبتك الجاهِل بالدليل تضييع للوقت، لذلك يؤثَر عن الإمام الشافعي قوله إن صحَّ: « ما ناظرتُ عالماً إلا غلبتُه وما ناظرتُ جاهلاً إلا غلبني »[1]؛ لأن الجاهل لا يقدِّم الدليل إذا أفحمتَه يسبُّك ويشتمكَ ويمدُّ يدَه إلى العصا! هذا دليل العاجِز وهو الإساءة. هذا إذا انتهى، وهذا ما تشاهدون إذا عَجَز أتباع المتصوِّفة من إقامة الدليل على ما هُم فيه قالوا: هؤلاء لا يُحبون الأولياء، أعداء الأولياء، أعداء الرُّسل، دين جديد، ملَّة جديدة!

هذا دليل العاجز عن الدَّليل، والله المستعان.

إذًا ملخَّص القاعدة الأولى: الإقرار بتوحيد الربوبية وحدَه لا يُدخل المرء في الإسلام والدليل: الآية.

---

(١) مشهور نسبته للإمام الشافعي ولم أقف عليه.

القاعدةُ الثانية: أنهم يقولونَ: ما دَعَوناهُم وتوجَّهنا إليهِم إلا لِطلَبِ القُربة والشَّفاعةِ ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **القاعدةُ الثانية: أنهم يقولونَ: ما دَعَوناهُم وتوجَّهنا إليهِم إلا لِطلَبِ القُربة والشَّفاعةِ.**

الشَّرح:

المشركون الأوَّلون الذين قاتلهم النبي ﷺ يُعلِنون أنهم لا يعتقدون في هذه الآلهة شيئًا من النَّفع والضّر، ولكن يريدون التقرُّب إلى الله زُلفى وليشفعوا لهم عند الله، فيؤمنون بالله بخالق السَّماوات والأرض ولكن الآلهة الصِّغار التي في الأرض فائدتها أنها تُدْعى فتشفع وتقرّب، هكذا قالوا.

ويريد الشَّيخ [الآن] أن يبيِّن دليل القُربة ودليل الشفاعة على حدة.

فدَليلُ القُربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **فدَليلُ القُربة قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

الشَّرح:

أي حال كونهم قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، لاحظوا إنهم يعتبرونهم أولياء، أي لهم الولاء ولهم المحبة والتعظيم وهذا معنى الولاية، ثم يعترفون أن ما يقدِّمونه لهذه الآلهة عبادة، بخلاف ما يقع فيه الجهَّال اليوم، فلا يسمون ذلك عبادة، بل يغضبون لو قلتَ لمن يطوف بالضَّريح أو يذبح الكبْش على عتبة الشيخ، لو قلتَ له: لا تعبد الشيخ غضِب، يقول: كيف تقول لي لا تعبُد الشيخ! هل أنا أعبد غير الله؟!

....

والذي تفعله هذا ما هو؟ يقول: لا هذه ليست عبادة، هذه محبَّة الصالحين، والطواف بالضَّريح من محبة الصَّالحين.

تغيَّرت المفاهيم فالعبادة سميت بغير اسمها إما جهلاً أو تجاهلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٣]، هذا لمن يفقَه فيه وعيدٌ شديد، حكم الله تعالى حكم عدل، مَن أساء ينتقم منه عدلاً ومَن أحسن يُثيبه فضلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣] وهم المشركون.

ودليلُ الشَّفاعة، قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **ودليلُ الشَّفاعة قوله تعالى:** ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس:١٨].

الشَّرح:

نحن نعترِف: لا يضرُّون ولا ينفعون، ولكن نعبدهم: فيعترفون بالعبادة. لماذا؟

لأنهم شفعاء لنا عند الله، فيعتمدون ويتوكَّلون عليهم في الشفاعة وأنهم شُفعاء، وهذا المعنى واسع كثيرا عند جماهير جُهَّالنَا، يعتمدون على من يتبعونهم ويعتقدون فيهم في الشفاعة تماما، بل إن بعض كتبهم تنص على أن الشَّيخ سوف يحمل أتباعه على ظهره على الصِّراط ويمر بهم كالطيَّارة! والله المستعان.

هذا توكُّل على غير الله واعتماد على غير الله وهو من الشِرك الأكبر، فمَن اعتمد على غير الله في الشفاعة أشرَكَ بالله الشِّرك الأكبر.

والشَّفاعَة شفاعَتَان: شفاعة مَنفيَّة، وشَفاعَة مُثبتَة.

فالشَّفاعة المنفيَّة: ما كانت تُطلَب من غَير الله فيما لا يَقدِر عليهِ إلا الله ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: والشَّفاعَة شفاعَتَان: شفاعة مَنفيَّة، وشَفاعَة مُثبتَة.

فالشَّفاعة المنفيَّة: ما كانت تُطلَب من غَير الله فيما لا يَقدِر عليهِ إلا الله.

الشَّرح:

الذين يطلبون الشَّفاعة من غير الله ويحسبون أنَّ هؤلاء شُفعاء يشفعون من عند أنفسهم دون الرُّجوع إلى الله، لا يستأذنون، بل الشَّفاعة في أيديهم، لذلك يطلبون منهم من الآن يقولون: ياسيدي فلان اِشفَع لنا يوم القيامة! لأنهم يعتقدون أن الأنبياء والصالحين يشفعون من عند أنفسهم وأنها حقٌّ لهم! ولا يعلمون أن الشَّفاعة حقٌّ لله، هذه الشَّفاعة هي المنفية التي نفاها القرآن.

والدَّليل قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٤].

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **والدَّليل قولُه تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الشَّرح:

قد غلط بعض علماء الكلام فأخذوا ظاهر هذه الآية وهذا الإطلاق، ولم يقدِروا أن يوفِّقوا بين هذه الشَّفاعة والشفاعة المثبتَة في آياتٍ أخرى، فقالوا: لا شفاعة. لذلك عند الخوارج والمعتزلة أصحاب الكبائر لا شفاعَةَ لهم، بل يدخلون النار مخلَّدين لارتكابهم الكبائر، ولو كان في قلوبهم إيمان.

والشَّفاعةُ المثبتَةُ: هي التي تُطلَب منَ اللهِ، والشَّافع مُكرَمٌ بالشَّفاعة ....

قَالَ المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: **والشَّفاعةُ المثبتَةُ: هي التي تُطلَب منَ اللهِ، والشَّافع مُكرَمٌ بالشَّفاعة.**

الشَّرح:

الذي يشفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُكرمه بأن يجيب دعوتَه وينفع العباد بدعوته وشفاعته، فيكرم فيُؤجَر «اِشْفَعُوا تُؤجَرُوا»[1]، فلهم الأجر، وفي مقدَّمتهم سيِّد الشفعاء محمد ﷺ[فهم] مُكْرَمونَ بهذه الشَّفاعة[2]، والله يُكرمهم بأن يأذن لهم ليَشفعوا لعباده، تفضُّلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لحكمة دقيقة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧) عن أبي موسى الأشعري.

(٢) سيأتي دليله.

....

والمشفوع له: مَن رضي اللهُ قوله وعمله بعد الإذن، أي فله الشفاعة من الشَّافعين بعد الإذن من الله شريطةَ أن يكون المشفوع لَه مَن رضي الله قولَه وعمله[1]، أي يكون من الموحِّدين.

يستعجل كثيرٌ من الناس ويقَعونَ فيما يمنع من الشَّفاعة؛ الشفاعة لا ينالها إلا المخلِصون، سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ: يا رسول الله: مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

هذا سؤالٌ عظيم علَّق عليه رسول الله ﷺ قبل الإجابة عليه.

قال: يا أبا هريرةَ هكذا كنتُ أظنُّ لا يسألني هذا السؤال أوَّل منكَ؛ لأنه يعلم أنه يحبُّ العلم كثيرًا ويحب الحديث كثيرًا.

---

(١) قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

. . . .

بعد هذا التعليق قال رسول الله ﷺ: « أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قبله »[1].

بحيث لا يخالف قلبه لسانَه ولا لسانُه قلبَه. هذا هو الذي مِن أسعدِ الناس بشفاعة النبي ﷺ.

قلتُ: بعض الناس يستعجل يحبُّ الشفاعةَ، يحب أن ينالَ الشفاعةَ، لكنه يقَع في موانع الشفاعة استعجالًا منه وجهلًا!

من أهمِّ موانع الشفاعة: الشِّرك!

يُشرك بالله؛ يترك اللهَ فيتركُ الشفاعةَ التي هي ملكٌ لله، ويطلبها ممن لا يملكها ويعتمد على هذا المخلوق الذي لا يَملِك![2] مَن أشرف الخلق وأفضل الخلق عند الله، وأكرم العباد على الله مَن هو؟

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[الزمر: ٤٣ – ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾[مريم: ٨٧].

....

محمدٌ رسول الله ﷺ.

كما تعلمون في الشفاعة العظمى عندما تتقدَّم الناس بعد الهول الشَّديد والحَيرة، يتقدَّمون لطلب الشفاعة ليُريحهم الله بشفاعة الأنبياء مما هُم فيه ولو إلى النار![1].

يبدأون بالترتيب الطَّبيعي؛ يبدؤون بآدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلٌّ رسولٍ من هؤلاء يقول: لا، لستُ لها نفسي نفسي. وكلٌّ يُعلِن بأن اللهَ قد غضبَ اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.

---

(١) سيأتي تخريجه.

....

إثبات صفة الغَضَب[1] عند جميع الأنبياء بدءًا من آدم ﷺ إلى أن ينتهي الدَّور إلى سيِّد الشفعاء محمد رسول الله ﷺ الذي يقول: أنا لها، لأنَّ الله أعلمَه.

إذا قال: أنا لها كيف يشفَع؟

يستأذِن، وطريقة الاستئذان: أن يسجُد لله سجدةً طويلةً، فالله ﷻ يدعه ويتركه في السجود فترةً طويلة جدًا، فيفتح الله عليه من أساليب الثناء والمدح وتعظيم الله ما لا يستحضره قبل ذلك في هذا السُّجود؛ سجود الشَّفاعة سجود الاستئذان، وبعد هذا السَّجود الطويل يُقال لسيِّد الشفعاء: يا محمَّد ارفع رأسك وسَلْ تُعطَه واشفع تُشفَّع. فيقول النبي ﷺ: فيحدُّ الله لي حدًّا.

---

(١) ينظر « الصفات الإلهية في الكتاب والسنة » محمد أمان الجامي (ص ٢٩٨)، « صفات الله في الكتاب والسنة » علوي السقاف (ص ٢٦٢).

....

ليس معنى ذلك بعد الاستئذان يأتي النبي ﷺ إلى أهل الموقف فينظر فيهم فينتخِب منهم انتخابًا؛ العرب بنو هاشم الأقرب فالأقرب.

يحدُّ له حدًّا: مجموعةً من الناس فيريحهم من هَول الموقف، ثم يسجد مرةً أخرى كالسُّجود الأوَّل، فيقال له ما قيل في السجود الأول، فيحدّ له حدًّا مرةً ثانية[1].

وهكذا تتكرَّر هذه الشفاعة ثلاث مرات لنعلم أن الشفاعة لله والشفاعة كلها لله لا يجوز أن تُطلب الآن من رسول الله ﷺ وهذه العبارةُ يستصعبها العاطفيُّون الذين يظنون أنهم وحدَهُم هم الذين يحبون رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٧)، ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

....

ولشدة محبتهم لرسول الله ﷺ يطلبون منه كل شيءٍ لا يطلب إلا من الله بما في ذلك الشفاعة!

هل هناك جهلٌ أكبر من هذا الجهل؟

ولو كان هذا الجهل جهلًا بسيطًا لَعولِجَ ولكنه جهلٌ مركَّب علاجُه يَصعُب، والله المستعان.

هذه القاعدة كيف نلخِّصها - القاعدة الثانية - ماذا قلنا؟ ما لخَّصناها؟

ملخَّصها: عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قَبِيل الوساطة والشفاعة، لا لأن آلهتهم تخلُق أو ترزق أو تضرُّ أو تنفع.

هذا ملخَّص القاعدة الثانية، وقد عرفتُم الدليل.

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر في أناسٍ متفرِّقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٣].

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر في أناسٍ متفرِّقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٣].

الشَّرح:

عبادة المشركين العرب الذين ظهر فيهم النبي ﷺ كانت متنوِّعة [فمنهم من عبد الصالحين، كما حصل ممن جاء بعدهم من الذين

. . . .

عبدوا عليًا وهؤلاء] لمَّا ألَّهوه فعبدوه قالوا: هو إلهٌ، فنهاهُم وزجرهم وشدَّد في منعهم من عبادة نفسه وعن تأليهه، ولكن لما أصرُّوا على ذلك، أوقد نارًا بأخاديدَ حفرت لهذا الغرض فحرَّقهم[1].

هكذا يصل الأمر بالصَّالحين أحيانًا إلى هذه الدَّرجة! ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ حامي حمى التوحيد كان يمنع الناس من المبالغة فيه وهو سيِّد الناس سيِّد ولد آدم[2] مع ذلك إذا قال له قائلٌ في معرض المبالغة والإطراء: أنتَ سيِّدنا وابنُ سيِّدنا، وأنت خيرنا وابنُ خيرنا. ينهى عن ذلك، ويقول لهم: قولوا: عبد الله إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله[3].

---

(١) انظر القصَّة في « فتح الباري » (١٢/ ٢٧٠) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، وابن حبان (٦٢٤٠)، والبيهقي في « الدلائل » (٥/ ٤٩٨) عن أنس رضي الله عنه وإسناده صحيح، وله شواهد. وقد صححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (١٠٩٧).

. . . .

ولما قال له أحد الصَّحابة: ما شاء اللهُ وشئتَ. نهاه رسول الله ﷺ وشدَّد في النهي فقال: أجعلتني لله ندًّا؟! [(1)].

والمسألة واضحة، ليس في ذلك نفيٌ للمشيئة؛ فرسول الله ﷺ له مشيئة وجميع العباد لهم مشيئة، إلا أنه لما عطف مشيئة الرسول ﷺ على مشيئة الله تعالى بالواو التي هي لِمُطلق الجمع نهى عن ذلك، وكان الصَّواب أن يَقول: ما شاءَ الله وحدَه، أو: ما شاءَ الله ثمَّ شئتَ.

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في « الأدب المفرد » (٧٨٣)، والطبراني (١٢/ ٢٤٤، ١٣٠٠٥)، وهو عند أحمد (٦/ ٣٧١)، وغيره بلفظ: « أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » عن ابن عباس، وهو صحيح، وانظر « الصحيحة » للألباني (١٣٩).

....

وأما غيرِ الصَّالحين فيشمل الجمادات والحيوانات؛ لأنها لا توصف بالصِّلاح ولا بغَيرِ الصلاح، وتشمل الشَّياطين والذين يعبدون الكهوف، والذين يعبدونَ الجنَّ.

والذين يعبدون الأشجار والأحجار - في واقعهم - إنما يعبدون الشياطين التي تزيِّن لهم تلك العبادة فالكلُّ واحدٌ بهذا الاعتبار.

نُكرِّر هذا لئلا يُفهَم أننا نقول: لا فرقَ بين الصالحين أو بين غير الصَّالحين في حدِّ ذاتهم، وهذا غير واردٍ؛ الصَّالحونَ من أولياء الله تعالى لهم مكانةٌ عند الله، ولكن بهذا الاعتبار لا فرقَ بينهم، وباعتبار صرفِ العبادة لهم أنَّ الكلَّ لا يستحقّ العبادةَ، الصالح كالنبيّ أو الوليّ أو الملك، وغير الصالح، فكلهم لا يستحقون العبادة.

ودليل الشَّمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **ودليل الشَّمس والقمر قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

الشَّرح:

مِن آيات الله الكونيَّة الدالَّة على وجود الله تعالى وعلى قُدرته وإرادته وعِلمه وكثير من الصِّفات العقليَّة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] مَن يتدبر ويتفكَّر في هذه المخلوقات يعلم تمامًا أن لها خالقًا قادرًا عليمًا حكيمًا.

﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت: ٣٧] ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾[فصلت: ٣٧].

الشَّرح:

لأنَّ هذه الأشياء مخلوقات، والمخلوق لا يستحقُّ العبادةَ مهما عَظُم في نظر العابد.

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

الشَّرح:

إن كنتم إياه تعبدون، وأما إن كنتم مشركين فدينكُم باطل، لكن كل مَن يريد أن يعبد الله وحدَه لا يسجد لهذه الأشياء.

النَّهي عن السُّجود للشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من المخلوقات يشمل النهي عن السجود لأيِّ مخلوق كائنًا من كان،

....

لذلك قال النبي ﷺ: « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقِّه »[1]، لكن لا سجود إلا لله مهما يكُن الإنسان حقُّه عظيمًا كحقِّ الزوج على الزوجة لا أحدَ يستحق السُّجود غير الله تعالى.

وعلى هذا: الذين يسجدون على عتبة الشيخ ويتوجَّهون إلى القبور ويسجدون بدعوى تعظيمهم ومحبَّتهم ويُنكرون أن يكون ذلك عبادة وأنَّ ذلك السجود ليس بعبادةٍ ولكنه تعظيمًا للشيخ ومحبَّة

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٨)، والبزار (٢٤٥٤)، والضياء (٥/ ٢٦٥، رقم ١٨٩٥) عن أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٤): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة. وله شاهد عن معاذ بن جبل، وابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم. وهو صحيح بمجموعها، وقد صححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٠٣) و (٣٣٦٦) و (٣٤٩٠)، وفي « الإرواء » (١٩٩٨).

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران: ٨٠] ....

لأولياء الله هؤلاء يُغالطون أنفسهم قبل أن يُغالطوا غيرهم، وما أكثر المغالِطين في هذا الوقت، والله المستعان.

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **ودليل الملائكة قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران: ٨٠].

الشَّرح:

الذي لم يكن ربًا خالقًا رازقًا لا يستحقُّ العبادة، الذي يستحق العبادة هو الرَّب الخالق المربِّي.

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] ...

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾** [المائدة: ١١٦].

الشَّرح:

قراءتان؛ لا تستغربوا ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾ قراءة، ﴿وَأُمِّي﴾ قراءة[1]، ﴿إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هل أنتَ قلتَ ذلك؟!

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أنزِّهُكَ يا ربِّ كلَّ التنزيه.

---

(١) انظر «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص ٢٥٠)، «التيسير في القراءات السبع» للداني (ص ٦٦).

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

الشَّرح:

العبادة ليست لي بحقٍّ حتى أقولَ للناس: اعبدوني!.

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ [المائدة: ١١٦].

الشَّرح:

لأنكَ عليمٌ بذات الصُّدور.

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

الشَّرح:

زيادةً على محلِّ الشاهد وهو: عدم عبادة الأنبياء، وأنَّ الأنبياء وعيسى من أولي العزم من خيار الأنبياء، الأنبياء ولو كانوا من أولي

....

العَزم[1] ولو كان أشرفهم وإمامهم وخاتمهم محمد ﷺ لا يستحقُّون العبادة ولا يَرضَونَ، ومَن عبدهم بغير رضاهم وبغير علمهم إنما يعبدُ الشيطان في واقعه الذي زيَّن له عبادة الأنبياء وهم بُرآءُ من عبادة مَن عبدهم.

زيادةً على هذا المعنى في [الأية] إثبات النَّفس لله تعالى، على الرّغم من إنكار الأشاعرةِ أحيانًا حيث يتناقضونَ ويَجعلون هذا من باب المشَاكلَة ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، إذا أجابوا بالمشاكَلَة في هذه الآية ماذا يصنعونَ بقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨] أين المشاكلة هنا؟

---

(١) وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام انظر « الهداية إلى بلوغ النهاية » (١١/ ٦٨٧٢)، « تفسير البغوي » (٧/ ٧٢٧)، « زاد المسير » (٤/ ١١٤)، القرطبي (١٦/ ٢٢٠)، ابن كثير (٧/ ٣٠٥).

. . . .

فدعوى المشاكلة غير واردة[1]، ويجب إثبات النَّفْس لله تعالى كما وصف نفسَه بالنَّفس، نُثبت له ذاتًا لورود ذلك في دليلين[2] اثنين في صحيح البخاري[3]، ونُثبت له النَّفْس، ونثبت له اليَد، ونُثبت له الوجْه. نثبت له كل ما أثبتَ لنفسه أو أثبته له رسوله وأمينُه محمدﷺ .

وفي إثباتنا لا نُبالغ إلى درجة التشبيه والتمثيل بأن يُقال: نَفسُه كنفوسنا، ويدُه كأيدينا، ووجهه كوجوهنا!.

هذه مبالغةٌ فيها التشبيه والتمثيل.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٩٦)، و(٩/ ٢٩٢-٢٩٣). «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة» للشيخ محمد أمان الجامي (ص ٨٢)، ط. الجامعة الإسلامية، وشرح الشيخ الغنيمان لكتاب التوحيد (١/ ٢٤٩-٢٥٥).

(٢) عبر الشيخ في هذا الموطن بـ «قصَّتين اثنتين»

(٣) ينظر صحيح البخاري (٧٤٠٥) عن أبي هريرة، وفيه: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. الحديث» وفي البخاري كذلك (٧٤٠٤) عن أبي هريرة، وفيه: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ ..».الحديث.

وديل الصَّالحين قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾[الإسراء: ٥٧]..............................

كذلك لا نبالغ في التنزيه إلى درجة نفي الصِّفات! ولكن عقيدتنا دائمًا وسط بين التشبيه والتمثيل وبين التعطيل والتحريف.

قَالَ المـــصَنِّفُ رحمه الله: **وديل الصَّالحين قوله تعالى:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾[الإسراء: ٥٧].

الشَّرح:

أي يعبدونهم، وهم أنفسُهم﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[الإسراء: ٥٧].

الذين يعبدهم العابدون من المشركين من الملائكة والصالحين هم أنفسُهُم يطلبون القُربَ إلى الله. بأي شيء؟ بالإيمان والعمل الصالح[1].

---

(١) ينظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٠١)، ابن كثير (٥/ ٨٩)، «تفسير ابن سعدي» (ص ٤٦٠).

وكيف يُعبَدُ عَبدٌ يعبدُ الله؟! هم عبيدٌ لله يَعبدونَ اللهَ ويطلبونَ القربَ من الله بعباداتهم وكثرة طاعتهم.

وكيف يستحقُّ العبدَ العبادَةَ؟! العبد المسكين الذي يرجو رحمة الله ويخاف عذابه، ويتضرَّع إلى الله لينجوَ من عذاب الله وغضبه، ولينال رضاه وليشكره على التوفيق.

هؤلاء العبيد من الملائكة والأنبياء والصالحين كيف يستحقُّون العبادة؟ لا يستحقون، ولا يَدعونَ الناسَ إلى عبادة أنفسهم؛ بل - كما سمعتم - يَنهونَ الناس عن عبادة أنفسهم إلى درجةِ تحريق الناسِ أحيانًا إذا دَعَت الحاجة إلى ذلك.

لَمَّا رأيتُ الأمرَ أمرًا مُنكرا أَجَّجتُ ناري ودَعوتُ قنبرًا[1]

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» / الخلفاء الراشدون (ص ٢٤٤).

....

هكذا قال عليٌّ رضي الله عنه لما رأى الأمر أمرًا منكرًا أنكرَ، ولما لم يمتثلوا أمره وإنكارَه أجَّج نارَه ودعا خادمه وألقاهم في النار وحرَّقهم[1].

هذا دليل على عِظَم ذنبهم، وإن كان بعض الصّحابة لم يوافقه على الإحراق كعبد الله بن عباس[2]، ولكن عليًّا اجتهد لشدَّة ولعِظَم جُرم القوم؛ لأن القوم لئامٌ قد يتظاهرون بالموافقة وهم يكذبونَ!

---

(١) ذكر القصَّة الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ٢٧٠) وقال: إسناده حسن. وانظر: « مقالات الإسلاميين » (١/ ٦٥ - ٨٨)، « التنبيه والرد على أهل الأهواء » (ص ١٨)، « الملل والنحل » للشهرستاني (٢/ ١١)، « الفرق بين الفرق » (ص ٢٣٣)، « منهاج السنة » (١/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٢). وانظر « فتح الباري » (١٢/ ٢٧٠).

....

هذا قد يحصل هذه عادتهم منذ ذلك التاريخ من حين ظَهَرُوا إلى يومنا هذا، وإن كانوا يتستَّرون بالتقيَّة.

التقيَّة نفاقٌ أُضيفت إليه تـاء التقـوى. قـالوا: تقيَّـة، وإلا فهـي نفاق[1].

---

(١) يقول ابن تيمية: « وأما الرافضة، فأصل بدعتهم عن زندقةٍ، وإلحاد، وتعمُّد الكذب كثير فيهم، وهم يُقرِّون بذلك حيث يقولون: ديننا التقيَّة، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه، وهذا هو الكذب والنِّفاق، ويدَّعون - مع هذا - أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملَّة!، ويصفون السابقين الأولين بالردَّة، والنِّفاق!، فهُم في ذلك، كما قيل: رمتني بدائها، وانسلَّت. إذ ليس في المظهرين للإسلام أقرب إلى النفاق والرِّدة منهم، ولا يوجد المرتدُّون، والمنافقون في طائفةٍ أكثر مما يوجد فيهم، واعتبر ذلك بالغالية من النصيرية، وغيرهم، وبالملاحدة الإسماعيلية، وأمثالهم ». « منهاج السنَّة » (١/ ٦٨-٦٩).

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٠] ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى:** ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٠].

الشَّرح:

هذه سمَّاها الشَّيخ: الأشجار والأحجار.

أما اللاَّتُ أو اللاَّتُّ – بالتشديد – في الأصل ليس بحجرٍ ولا شجر، بل كان رجلًا صالحًا محسنًا يُطعِم الحجاجَ وهو ساكن في الطائف.

الحجاج الذين يأتون من الجنوب فيمرُّون بالطائف فيَلُتُّ لهم السَّويق[1] فيطعمهم، وكان يجلس بجوار حجرٍ كبير، فلما مات بالغ

---

(١) السَّويق: دقيق القمح المقلو أو الشعير أو الذرة أو غيرها. « التوقيف على مهمات التعاريف » (ص ١٩٩) واللَّتُّ: الدَّقُّ. وقيل: السَّحْقُ. وقيل: بَلُّ السَّوِيقِ. « تاج العروس » (٥/ ٧٣-٧٤).

....

فيه أهل الطائف فعبدوهُ، فتحوَّلت العبادة منه إلى الحجر؛ الحجر الذي كان يجلس عليه أو بجواره ويعمل السَّويق عنده، بهذا تحوَّل اللات إلى الحَجَر! وإلا في الأصل ليس بحجر، وهو معبود ثقيف[1].

أما عُزَّى[2]: عبارة عن غابة فيها شيطانة (جنيَّة)، وهي التي كان يعتزُّ بها أبو سفيان قبل أن يُكرمَه الله بالإيمان وصحبة نبيِّه محمد ﷺ لما جاء يوم أحد كان يقول للصحابة: لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم!

---

(١) انظر « النكت والعيون » للماوردي (٥/ ٣٩٧-٣٩٨)، « اللباب » لابن عادل (١٨/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر « النكت والعيون » للماوردي (٥/ ٣٩٨).

....

فيقول النبي ﷺ للصحابة: ردُّوا عليه، فقولوا: الله مولانا ولا مولى لكم[1].

هذه هي العزَّى لقريش، ولما أمر النبي ﷺ بهدم البناء الذي كان هناك وقطْع الشَّجرة والغابة، فعل ذلك خالدٌ - فيما أحسب - فرجع فأخبر أنه فعل ذلك، أمَرَه النبي ﷺ أن يرجع مرةً أخرى لأنه لم يفعل شيئًا، فلما رجع وجد جنيَّةً ثائرةَ الشَّعر، على شكل عجوز فقتلها[2]، تلك هي العزَّى التي كان يعتزّ بها أبو سفيان قبل أن يكرمه الله بالإسلام وبصحبة النبيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢/ ١١٠- ١١١)، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٧).

....

وأما مَنَاة: ففيها بين مكَّة المدينة، وكانت تُراق الدِّماء هناك، في طريق الحجاج يذبحون عند مَنَاة لذلك سمِّيت مناة[1].

هذه كلُّها في واقعها شياطين تُعبد، قد تكون هناك أشجار أو أحجار، أو غابة، أو بناء؛ البناء طبعًا يتكوَّن من الأشجار أو من الأحجار، ولكن في الواقع الذي يُعبَد هو الشيطان أو الجنيّ.

---

(١) ينظر «زاد المسير» (٤/ ١٨٨)، «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٠١-١٠٢).

وحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: « خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاء عهدٍ بكفرٍ وللمشركينَ سِدرةٌ يَعكُفونَ عندها ويَنوطُونَ بها أسلحتَهُم - يقال له ذات أنواط - فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ، كما لهم ذات أنواط » ....

قَالَ المصَنِّفُ ﷺ: وحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: « خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاء عهدٍ بكفرٍ وللمشركينَ سِدرةٌ يَعكُفونَ عندها ويَنوطُونَ بها أسلحتَهُم يقال له ذات أنواط ».

الشَّرح:

انتبهوا إلى هذه القصَّة، [فهم] يعلِّقون عليها أسلحتهم تبرُّكًا بهذه السِّدرة؛ فالأسلحةَ إذا عُلِّقت بهذه السِّدرة المباركة بزعمهم أنها سوف تُصيب ويكون فيها بركة، يقال لها: ذات أنواط. أي: التي تُعلَّق بها الأسلحة.

....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: « **فمررنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ، كما لهم ذات أنواط** ».

الشَّرح:

قال: الله أكبر قلتُم - والله - كما قال بنو إسرائيل ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨][1].

قد يقال: ما هذا الإنكار الشَّديد؟ القومُ لم يريدوا أن تكون السِّدرة إلهًا يعبدونه!، ولكن أرادوا أن تكون لهم سدرة يتبرَّكون بها كما يتبرَّك المشركون بسدرتهم!، ولكن النبيَّ ﷺ كبَّر وشبَّه عملهم بعمل بني إسرائيل الذين طلبوا أن تكون لهم آلهة لماذا؟ وإن كان هؤلاء عندما يعلِّقون أسلحتهم بالسِّدرة تبركًا عبارة عن شفاعة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٥/ ٢١٨)، والحميدي (٨٤٨)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن حبان (٦٧٠٢) وهو حديث صحيح، وصححه الألباني في « تخريج المشكاة » (٥٤٠٨).

....

أو وَسَاطَة لا يقصدون فيها النَّفع والضّر، ولكنها تكون ذريعةً على المدى البعيد، ولو كان في أولادهم أو أحفادهم سوف تُعبد لو تُركت، لذلك عظَّم النبي ﷺ الأمر ونهاهم نهيًا شديدًا، فلا يجوز أن يتشبَّه المسلمون بالمشركين ويتخذوا أشجارًا أو قبورًا أو بناءًا، فيتبرَّكون بهذه الجمادات مجرَّد التبرُّك! لأن البركة معناها الزِّيادة والنَّماء؛ البركة من عند الله، الذي يبارك الله للعباد في أعمالهم وأعمارهم وفي أموالهم وفي أولادهم هو الله.

وهذه الجمادات ماذا تملك من البركة؟ ويؤدِّي ذلك إلى اعتقاد النفع فيها، أي أنها تنفع ببركتها وَبِسِرِّها! وهذا هو الذي وقع فيه كثيرٌ من المسلمين المتأخِّرين في هذا الوقت، يبدؤون بالتعظيم والتبرك بالصَّالحين وخصوصًا من آل البيت، ويصِل بهم الأمر أخيرًا إلى عبادتهم والحَلِف بهم، والنَّذر لهم، والطواف بأضرحتهم!

....

هكذا شدَّد النبي ﷺ في هذا الأمر لهذا الغرض.

وما يُشبه ذاتَ أنواط ما أكثره اليوم في كثير من الأقطار من الأشجار والأحجار التي يصبُّون عليها السَّمن! يدهنونها بالسَّمن والزيت حتى تَشبَعَ الشجرة أو الحجر من الزيت أو السَّمن كل ذلك تبركًا! كل مارٍّ أو مسافرٍ بشجرٍ أو حجرٍ أو دَوحَة يجلس تحتها ويصبّ السَّمن عليها ويقوم، ويأتي الثاني ويفعل؛ كذات أنواطٍ تمامًا يتبرَّكون وربما قصدوا في سفرهم هذا الطريق تاركين الطرق الأخرى التي ليس فيها مثل هذه الأشياء التي يتبركون بها.

المرور في هذا الطريق الذي فيه هذه الأشجار يجعل التبرُّك بها مقصودًا، هذا ما عليه كثير من المسلمين وهم يصلُّون ويصومون، ولكن الجهل قد يُوقِعهم في هذا الأمر.

إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ في أوَّل أمرهم لما كانوا قريبي عهدٍ بالجاهلية طلبوا هذا الطَّلب! فما بال الذين يعيشون بعيدين عن العلماء وعن أهل العلم لا أحد يبيِّن لهم التوحيد والشِّرك، يتخبَّطون أحيانا يُشركون وأحيانًا يوحِّدون، وإذا ذَكَرتَ لهم نصوص الوعد والوعيد رأيتهُم يتأثَّرون، وإذا ذُكر رسول الله ﷺ وشمائله يتأثَّرون ويبكون، وإذا ذُكر عباد الله تأثَّروا بذلك، وإذا قاموا من عندكَ وقعوا في الإشراك بالله: إمَّا بأنواعٍ من الشرك الأكبر أو الأصغر!

ما معنى هذا التخبُّط؟ الجهل، ليس هناك شيء آخر، ليس فيه خراب القلب الذي هو الكفر ولكن القضيَّة قضيَّة الجهل، لذلك الواجب على طلاب العلم الحرص كل الحرص على إنقاذ هؤلاء بالعلم، لا شيء يُنقذهم إلا العلم؛ لأن الذي أوقعهم في هذا التخبط وهذا التناقض: الجهل وحده، ليس هناك شيء آخر.

....

ومن أسباب الجهل: كثرة علماء السُّوء الذين يزيِّنون لهم هذا الموقف، ويُقرُّونهم على هذا التصرُّف، ويُقرِّرون لهم هذه الأشياءً بمحبَّة الصَّالحين وتعظيم الصَّالحين وينالون من دعاة الحقِّ الذين يحاولون أن يصحِّحوا للناس عقائدهم وعباداتهم.

فينالون منهم ويسخرون منهم أمام العوامّ الذين يقعون في مثل هذا الإشراك، والمشكلة مشكلة علماء السُّوء هم السبب في ضياع كثير من المسلمين في جهلهم، والله المستعان.

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين، لأنَّ الأولين يشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشِّدة، ومُشركو زماننا شِركهم دائم في الرخاء والشِّدة! ....

قَالَ المصَنِّفُ رحمه الله: **القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين، لأنَّ الأولين يشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشِّدة، ومُشركو زماننا شِركهم دائم في الرخاء والشِّدة!.**

الشَّرح:

هكذا يقول الإمام الذي ظهر بهذا التجديد في القرن الثاني عشر، وعندما ظهر الشيخ ورجَعَ من جولته من طريقه الطويل - سفر التحصيل والعلم - بعد أن تعلَّم هنا في المدينة ثم في العراق ورجع إلى البلد للدعوة إلى الله، وكان في البلاد أنواعٍ من الشِّرك، كعبادة النفس وعبادة القبور وعبادة الجن!، فوجد منطقة نجد أنها في أشدِّ الشِّرك وأفظع الشرك، وغيرهم من باب أولى، وقد أخذ الفكرة؛

....

لأنه مرَّ على مكة وعاش في المدينة، ثم تجوَّل في الشَّام، ثم في العراق،ثم في المنطقة الشرقية إلى أن رجع إلى بلده ومسقط رأسه للدعوة إلى الله والإصلاح والتجديد، أي تعلَّمَ وعَرَف أحوال المسلمين في المنطقة المجاورة وأنها متشابهة، وعرف مما يفعله كثير من الناس مما هو أفظع من شرك الأولين من ناحية معيَّنة كما سنبين.

لذلك يقول الشيخ: « **إنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوَّلين، لأنَّ الأولين يشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشِّدة، ومُشركو زماننا شِركهم دائم في الرخاء والشِّدة!** ».

وربما اشتدَّ شركهم في وقت الشدَّة.

والدَّليل قوله تعالى.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[العنكبوت: ٦٥] .....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: **والدَّليل قوله تعالى.**

واللهُ يصفُ المشركين الأوَّلين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

الشَّرح:

هذا وصف المشركين الأوَّلين؛ لأنهم يعلمون أن آلهتهم التي تركوها في البرِّ سوف لا تنفعهم وهُم في البحر لو حصل الغَرَق لو حصل أيُّ شيءٍ لا تنفعهم تلك الآلهة من اللات والعزَّى ومَناة وهُبل، ولكن يخلصون له العبادة يَدْعونَ اللهَ وحدَه فيطلبون منه الخلاص منه وحده سبحانه.

فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت: ٦٥] ....

قَالَ المصنِّفُ رحمه الله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت: ٦٥].

الشَّرح:

هذا واقع المشركين الأوَّلين.

وكيف حال المشركين في زمان المجدِّد؟

ومشركي زماننا نحن كيف وضعهم؟

يعرف ذلك من ركب معهم الفلك، فمن ركب معهم في الفلك يجدهم لا يقولون: يا الله، حتى في حال الخوف من الغرق! بل يعتقدون أنَّ في البحر شيخًا ووليًّا خاصًّا يحفظ البواخر والسفُن التي في البحر، لذلك يدعون شيخ البحر ووليَّ البحر، ووليُ البرّ يُترَك للبر ولكن يدعون وليّ البحر.

....

لك أنْ تسأل: هل سمعتَ أو رأيتَ؟ وكيف جزمتَ؟

نعم رأيت بعينيَّ وسمعتُ بأذنيَّ كِدْنَا على الغرق في بحر جدَّة، وكانت السَّفينة تضطرب، وإذا اضطربت خافَ الرُّكاب، والكل يجأر لم نسمع أحدًا يجأرُ باسم الله (يا الله)! وإنها: يا أهل الله، يا ابن عَلْوَان، يا شيخ البحر، يا شيخ فلان، لم نسمَع أحدًا يقول: يا الله.

هذا مني، وممن سمع مثلي من بعض الثِّقات الذين سافروا سفرًا طويلًا في البحر وخافوا من الغَرَق لم يَحدُث منهم دعوة الله واللجوء إلى الله.

ما يقَع فيه المنتسبون إلى الإسلام الذين يشركون بالله تعالى على جهلٍ، شركهم في هذه الناحية وفي هذه الزاوية أفظع وأغلظ من شِرك الأوَّلين الصُّرحاء.

....

ولكن هل هذه الزاوية نطبِّقها ونُعمِّمها على جميع أعمالهم وهم أسوأ حالًا من المشركين الأولين في كلِّ شيء؟

هذا غير وارد، وغير مُرادٍ للشيخ، ذلك أنَّ المشركين الأوَّلين أنكروا رسالة محمَّد ﷺ وآذوه، وهؤلاء يؤمنون برسول الله ﷺ وبرسالته، ويؤمنون بالجملة بما جاء به رسول الله ﷺ على جهلٍ وتخبطٍ كما تعلمون ويؤمنون بالجملة بالقرآن، أولئك كانوا يُنكرون القرآن وهؤلاء يؤمنون بالقرآن بالجملة، نقول بالجملة لِما تعلمون من تخبُّطهم أيضًا ويؤمنون بالبعث بعد الموت وما يجري بعد ذلك من الجزاء والعذاب، ويؤمنون بالجنَّة والنار. هذه فروضٌ ثابتة يُخالفون بها المشركين الأولين.

....

إذن: عندما يقول الشَّيخ: « **شرك مشركي زماننا أغلظ** ». يعني في هذه الزاوية المعيَّنة، أي عند الدُّعاء قد يدعون غير الله في الرَّخاء والشدَّة، بينما المشركون الأولون إنما يدعون غير الله في حال الرَّخاء ويخلصون الدعاء لله تعالى في حال الشدَّة هذا كما وصفت الآية وهذا الواقع.

فمن ينظر إلى واقع المسلمين اليوم يُدرك هذا المعنى، لذلك لا نأخُذ هذا الكلام على العموم بل ينبغي أن نُقيِّده في هذه الزاوية.

ونحن نعلم موقف شيخ الإسلام ابن تيمية الذي إذا قرأت كلامه فإنه يُطبِّقُ ما يقوله على مشركي زماننا، وعلى النُّفاة والمشبِّهة في وقتنا.

....

قد يكفِّر أمثال هؤلاءِ شيخَ الإسلام كما تقرؤون ذلك في مقدِّمة الرَّد على البكري[1]؛ فالبكري هذا الذي ردَّ عليه شيخ الإسلام في مسألة الاستغاثة كان يكفِّر شيخ الإسلام لكونه يمنع الاستغاثة ويرى أنَّ الاستغاثة بغير الله شركٌ، لذلك البكري يكفِّر شيخ الإسلام![2] وهل شيخ الإسلام قابل تكفيرَه بالتكفير؟ لا لم يكفِّره بل يراه جاهلًا، يراه أنه لم يعلم حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ

---

(١) البكري: علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري، أبو الحسن، فقيه من أهل القاهرة، كان من جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة الزيارة وغيرها، توفي سنة ٧٢٤هـ. انظر في ترجمته: « البداية والنهاية » لابن كثير (١٤/ ١١٤)، « شذرات الذهب » لابن العماد (٦/ ٦٤). وانظر « مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام » للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٥٢-٥٣).

(٢) « الاستغاثة والرد على البكري » (٢/ ٥١٢).

....

- البكري مع علمه لم يعلم - لذلك لم يكفِّره[1]، ولما جادله الحلوليين والجهميين ودعاهم إلى إثبات ما أثبته الله لنفسه وإلى الاكتفاء بالكتاب والسنَّة عاندوا وشدَّدوا وكفَّروا، فقال لهم: لو كنت أنا معكم ولو كنت مكانكم لكفرتُ أو حكمتُ على نفسي بالكفر، ولكنكم لا تعلمون، أنتم جهَّال[2].

عَذرَهُم بالجهل مع كثرة علمهم في العقليَّات، لكنهم جهَّالٌ في السَّمعيَّات، في العلم الذي يُخرج الإنسان من الجهل والذي جاء به رسول الله ﷺ.

(١) «الاستغاثة والرد على البكري» (١/ ١٥٨-١٦٠)، و(١/ ٣٨٥).

(٢) «الاستغاثة والرد على البكري» (٢/ ٣٨٣- ٣٨٤).

....

هؤلاء المسلمون - كما تعلمون كلُّكم - الذين ليل نهار يدعون غير الله، ويذبحون وفي أموالهم نذورٌ كثيرة للصالحين، فربما لا تطمئن نفوس بعضهم إن لم يكن في ماله نذر لشيخ أو لرجل صالح ليَحفظ ماله، ويطوفون ويفعلون، لكن مع ذلك لو سبرت أحوالهم وجدت أن لديهم شُبه كثيرة من ذلكم:

جاء طالب ريفي ليدرس في الأزهر، فذهب إلى قبر الحسين فرأى الناس يصرخون ويطوفون ويدعون الحسين: يا الحسين يا الحسين يا الحسين!.

فجاء الطالب إلى الشيخ فقال: يا مولانا ما هذا الذي نرى، هل الإسلام يقرّ هذا؟!

قال له: اسمع يا ابني هل تحبّ جبَّتي هذه؟

قال: نعم.

....

قال: لماذا؟ مش على شاني أنا؟

قال: على شانك أنت.

قال: ولما كان قماشًا معلَّقًا في الدكَّان كنتَ تحبُّه؟

قال: لا.

قال: هؤلاء يحبُّون الحسين على شان الله، ما دام يحبونه لله وعلى شان الله ليس هذا بشرك هذه محبَّة الصالحين!.

ففضيلة الشيخ لم يفرِّق بين الحبّ في الله والحب مع الله.

محبَّة الحسين في الله عملٌ صالح نافع، محبَّة الحسين ومحبة جميع الصالحين في الله ولأجل الله عملٌ صالح يتقرَّب به العبد إلى الله، هذا ما جهله الشيخ.

ولكن محبَّة الحسين مع الله شركٌ أكبر، هذا ما وقع فيه الناس ولم يستطع الشيخ أن يفرِّق بين المحبَّتين.

محبَّة الصالحين في الله لكونهم صالحين، لكونهم من عباد الله، ولكونهم يحبون الله ويعظِّمون شريعة الله، إذا أحببت صالحًا لذلك هذا عملٌ صالح، ومن أعظم الأعمال الصالحات، ولك أن تتوسَّل إلى الله بمحبَّة الصالحين بهذا المعنى.

أما إذا أحببت صالحًا مع الله جعلته شريكًا لله في المحبة وفي التعظيم والخضوع له والطواف بقبره بعد موته والذَّبح له والنَّذر له، إذا فعلت ذلك جعلته شريكا لله وأحببته مع الله[١].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥].
قال ابن القيم: «أخبر تعالى أنَّ مَن أحبَّ من دون الله شيئًا كما يُحب اللهَ تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا فهذا ندٌّ في المحبة، لا في الخلق والربوبيَّة».
«التفسير القيم» (١/ ١٤٢).

....

وجود مثل هذا الشَّيخ وأمثاله - وما أكثرهم - شبهةٌ قائمةٌ ينبغي أن نعتبرها شبهةٌ نتوقف من أجلها في تكفير العوامّ حتى يتبيَّن لهم الهدى، وأما من يشاقق الله ويشاقق رسول الله ويخالف شريعة الله بعد أن تبيَّن لهم الهدى وسمعوا وعلِموا وشُرح لهم الأمر فقالوا بعد ذلك: لا، لن نترك ما وجدنا عليه آبائنا ومشايخنا، وإن كان ما تقولونه هو الصحيح، لكن لسنا بأولئك الذين ينصاعون لكلِّ شيء ولكن نبقى مع مشايخنا وعلمائنا إن كانوا في النار فنحن معهم، وإن كانوا في الجنة فنحن معهم! فلذلك يكفَّرون لأن الحجَّة قامت عليهم، وقبل ذلك ينبغي أن نلتمس لهم الأعذار.

....

هذا ما أدينُ الله به وليس كلامي ببدعٍ في هذا ولي سلفٌ من المحقِّقين الذين دائما نستأنس بمفاهيمهم لنا سلفٌ في هذا المعنى[1]، وواقع الناس يشهد لهذا، يعني كما قلتُ لكم: لو وَعظتَ هؤلاء وعظًا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ونحن نعلم بالضَّرورة أن رسول الله ﷺ لم يَشرَع لأمَّته أن يدعوا أحدًا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشِّرك الذي حرَّمه الله تعالى ورسوله. لكن لغلبة الجهل، وقلَّة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخِّرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبيَّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ». « الرد على البكري » (٢/ ٦٢٩-٦٣٠). وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في « مصباح الظلام » (ص ٥٢-٥٣): « تكلَّم الناس في بلاد المشركين، الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أندادًا لله ربِّ العالمين، أو يسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم: أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردَّة ولم يجعلوه كافرًا أصليًّا ».

....

بالكتاب والسنَّة وذكَّرتهم بالله وباليوم الآخر لوجدت لديهم تأثرًا، وبالنسبة للرسولﷺ لا يُتَّهموا بالجفاء إن لم يتَّهموا بالمبالغة والغلوّ.

أمثال هؤلاء في قلوبهم شيءٌ من الإيمان ولم توصف قلوبهم بالخراب الكلّي كما يقول شيخ الإسلام: حقيقة الكفر خراب القلب[1]، وإذا خَرِب القلب لا ينتفع الإنسان بالمواعظ والإرشاد [ولو قرأ] عليه الكتاب من أوله إلى آخره.

وهذا والمسألة فيها نوعٌ من التردُّد؛ لأن كثيرًا من فقهاء المسلمين لا يرون أن يعذر المرء بالجهل إلا بالفروع، وأما الأصول لا يرون العذر في ذلك، والمسألة محلّ اجتهاد.

لذلك أذكِّر هنا فأقول: إنَّ المشركين الأولين يُشركون بالله في حال الرَّخاء ويخلصون لله الدعاء في الشدَّة، بخلاف المتأخرين فإنَّهم

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولا قريبا منه، وانظر « الفتاوى الكبرى » (٢/ ٢٢٤)، « مجموع الفتاوى » (٢٠/ ٤٥) و (٢٢/ ٦٠٨-٦٠٩).

....

يشركون في الرَّخاء وفي الشدَّة، بل هم في الشدَّة أشدّ إشراكًا، وفي هذه الزاوية هم شِركهم أغلظ من شِرك الأوَّلين، ولكن لا ينبغي أن يعمَّم هذا في جميع الأحوال وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد وآله وصحبه[1] .

---

(١) إلى هنا انتهى المقصود، والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، غير مكفيٍّ ولا مودع، ولا مستغنى عنه ربنا.

ويا أيها القارئ هذا الشرح بين يديك لك غنمه وعلينا غرمه، ولك صفوهُ وعلينا كدره، وما وجدت فيه من خطأ فإننا لم نأل جهدًا في الإصابة ولكن يأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال.

والنقص في أصل الطبيعة كامنٌ فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

ولن نعدم من القارئ نصحًا وإرشادًا وتوجيهًا.

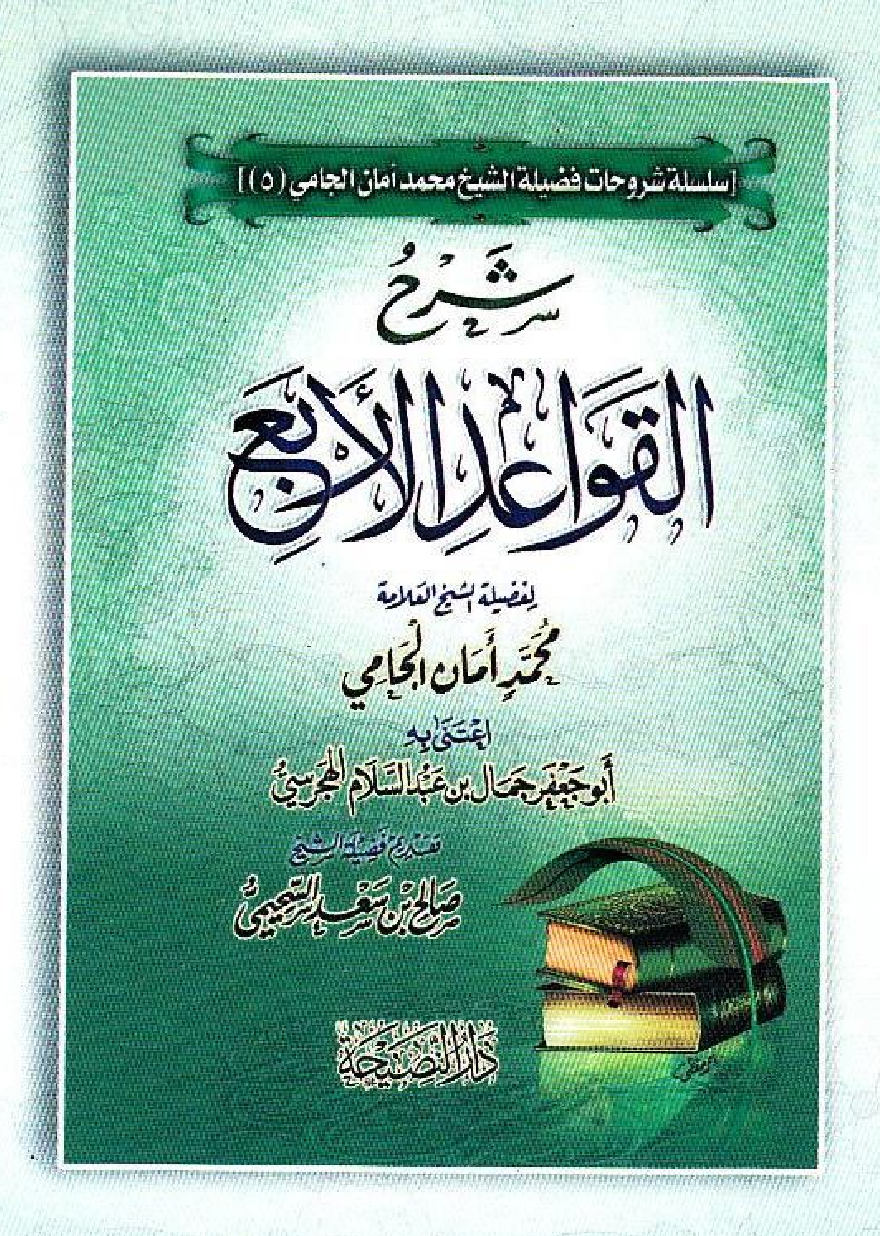
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكان الفراغ منه في منتصف شهر صفر لعام ١٤٣٢ من هجرة النبي ﷺ ومن كان عنده ملاحظات فليمدنا بها على البريد الالكتروني (daralnasihaa@gmail.com)

أو الهاتف (٠٠٩٦٦٦٤٨٤٧٠٧٠٨).

فهرس

فهرس


[سلسلة شروحات فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي (٥)]
شرح
القواعد الأربع
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد أمان الجامي
اعتنى به
أبو جعفر جمال بن عبد السلام الهجرسي
تقديم فضيلة الشيخ
صالح بن سعد السحيمي
دار النصيحة